@ 152 @ يكون إلاّ بوحي إذ التكاليف وإزهاق النفوس لا تتحقق بالإلهام إلاّ بالإعلام . وقال عليّ بن عيسى : المعنى { قُلْنَا } يا محمد قالوا { قُلْنَا ياذَا الْقَرْنَيْنِ } ثم حذف القول الأول لأن ذا القرنين لم يصح أنه نبي فيخاطبه ا ، وعلى هذا يكون الضمير الذي في قالوا . المحذوفة يعود على جنده وعسكره الذين كانوا معه . .

وقوله { إِمَّا أَن تُعَذّبَ } بالقتل على الكفر { وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً } أي بالحمل على الإيمان والهدى ، إما أن تكفر فتعذب ، وإما أن تؤمن فتحسن فعبر في التخيير بالمسبب عن السبب . قال الطبري : اتخاذ الحسن هو أسرهم مع كفرهم يعني أنه خير مع كفرهم بين قتلهم وبين أسرهم ، وتفصيل ذي القرنين { أَمَّا مَن ظَلَمَ } و { أَمَّا مَنِ * مِن } يدفع هذا القول ولما خيره تعالى بين تعذيبهم ودعائهم إلى الإسلام اختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم . فقال : أما من دعوته فأبى إلاّ البقاء على الظلم وهو الكفر هنا بلا خلاف فذلك هو المعذب في الدارين ، وأما من آمن وعمل ما يقتضيه الإيمان فله جزاء الحسنى . وأتى بحرف التنفيس في { فَسَوْفَ نُعَذّبُهُ } لما يتخلل بين إظهاره كفره وبين تعذيبه من دعائه إلى الإيمان وتأبيه عنه ، فهو لا يعاجلهم بالقتل على ظلمهم بل يدعوهم ويذكرهم فإن رجعوا وإلاّ فالقتل . .

وقوله { ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبّهِ } أي يوم القيامة وأتى بنون العظمة في { نُعَذّبُهُ } على عادة الملوك في قولهم نحن فعلنا . وقوله { إِلَى رَبّهِ } فيه إشعار بأن التخيير لذي القرنين ليس من ا تعالى ، إذ لو كان كذلك لكان التركيب ثم يرد إليك فتعذبه ، ولا يبعد أن يكون التخيير من ا ويكون قد أعلم ذو القرنين بذلك أتباعه ثم فصل مخاطباً لاتباعه لا لربه تعالى ، وما أحسن مجيء هذه الجمل لما ذكر ما يستحقه من ظلم بدأ بما هو أقرب لهم ومحسوس عندهم ، وهو قوله { فَسَوْفَ نُعَذّبُهُ } ثم أخبر بما يلحقه آخراً يوم القيامة وهو تعذيب ا إياه العذاب النكر ولأن الترتيب الواقع هو كذا ولما ذكر ما يستحقه { مَنْ ءامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً } ذكر جزاء ا له في الآخرة وهو { الْحُسْنَى } أي الجنة لأن طمع المؤمن في الآخرة ورجاءه هو الذي حمله على أن آمن لأجل جزائه في الآخرة ، وهو عظيم بالنسبة للإحسان في الدنيا ثم أتبع ذلك بإحسانه له في الدنيا بقوله { وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً } أي لا نقول له ما يتكلفه مما هو شاق عليه أي قولاً ذا يسر وسهولة كما قال قولاً ميسوراً . ولما ذكر ما أعد ا له من الحسنى جزاء لم يناسب أن يذكر جزاءه بالفعل بل اقتصر على القول أدباً مع ا تعالى وإن كان

يعلم أنه يحسن إليه فعلاً وقولاً . .

وقرأ حمزة والكسائي وحفص وأبو بحرية والأعمش وطلحة وابن مناذر ويعقوب وأبو عبيد وابن سعدان وابن عيسى الأصبهاني وابن جبير الأنطاكي ومحمد بن جرير { فَلَهُ جَزَاء } بالنصب والتنوين وانتصب { جَزَاء } على أنه مصدر في موضع الحال أي مجازي كقولك في الدار قائماً زيد . وقال أبو علي قال أبو الحسن : هذا لا تكاد العرب تكلم به مقدماً إلاّ في الشعر . وقيل : انتصب على المصدر أي يجزي { جَزَاء } . وقال الفراء : ومنصوب على التفسير والمراد بالحسنى على قراءة النصب الجنة . وقرأ باقي السبعة { جَزَاء الْحُسْنَى } برفع { جَزَاء } مضافاً إلى { الْحُسْنَى } . قال أبو عليّ جزاء الخلال الحسنة التي أتاها وعملها أو يراد بالحسنى الحسنة والجنة هي الجزاء ، وأضاف كما قال دار الآخرة و { جَزَاء } مبتدأ وله خبره . .

وقرأ عبد ا بن إسحاق { فَلَهُ جَزَاء } مرفوع وهو مبتدأ وخبر و { الْحُسْنَى } بدل من { جَزَاء } . وقرأ ابن عباس ومسروق { جَزَاء } نصب بغير تنوين { الْحُسْنَى } بالإضافة ، ويخرج على حذف المبتدإ لدلالة المعنى عليه ، أي { فَلَهُ } الجزاء { جَزَاء الْحُسْنَى } وخرجه المهدوي على حذف التنوين لالتقاء الساكنين . وقرأ أبو جعفر { يُسْراً } بضم السين حيث وقع . .

{ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً } أي طريقاً إلى مقصده الذي يسر له . وقرأ الحسن وعيسى وابن محيصن { مَطْلِعَ } بفتح اللام ، ورويت عن ابن كثير وأهل مكة وهو القياس . وقرأ الجمهور بكسرها وهو سماع في أحرف معدودة ، وقياس كسره أن يكون المضارع تطلع بكسر اللام وكان الكسائي يقول : هذه لغة ماتت في كثير من لغات العرب ، يعني ذهب من يقول من العرب تطلع بكسر اللام وبقي { مَطْلِعَ } بكسرها في اسم المكان والزمان على ذلك القياس ، والقوم هنا الزنج . وقال قتادة هم الهنود وما وراءهم . والستر البنيان أو الثياب أو السجر والجبال أقوال ، والمعنى أنهم لا شيء لهم يسترهم من حر الشمس .